سينما

«أخبار العالم» لبول غرينغراس

ولادة أميركا الجديدة بلغة الوسترن

جديد الثنائي بول غرينغراس وتوم هانكس، يستعيد مرحلة ما بعد حرب الانفصال الأميركية، عبر شخصية قارئ أخبار يتجوّل في المدن مع طفلة

محمد بنعزيز

بدءاً من اللقطة الأولى: كيف تبدو الحالة على الأرض؟ تظهر مخلّفات ما جرى على ظهر البطل وفي طريقه، كما في «أخبار العالم (News Of The World)» لبول غرينغراس («نتفليكس»، منذ 10 فبراير/ شباط 2021). ما جرى حدثٌ عظيم. التراجيديا خارج الكادر. لكنْ، ما تبع تلك التراجيديا يصوغ مستقبلاً مختلفاً. جاء الألم كنتيجة.

هذا راعي بقر بطبعة ما بعد حرب الانفصال الأميركية (1861 . 1865). ضابط سابق، يتحرّك في فضاء دولتي لا في فضاء فوضى. هناك قوانين دولة تحدّد الحقّ والواجب. يشبه بطل الفيلم (توم هانكس)، علي صعيد المظهر، أبطال أفلام الـ«وسترن»، لكنّه يلتزم قانون الدولة لا قانون ذراعه.

شيخٌ وطفلة في رحلة بالجنوب الأميركي، تقدّم مقطعاً في زمن محدّد. بعد 6 دقائق، حدّد المخرجُ المكانَ، وعرض الشخصيات الرئيسية، وأطلق الحبكة. بينما تبقى الطفلة في الانتظار لربط مَشاهد الفيلم، ترافق الكاميرا البطل على ظهر فرسه، لرصد ولادة أميركا الجديدة، بعد الدم الذي سال.

يؤدّي توم هانكس الدور كأنّه ولد فيه. تصعب ملاحظة جهد الأداء من فرط الإتقان. أحياناً، لا يجري شيءٌ مهمّ في المَشاهد، لكنّ حضور الممثل وطريقة أدائه لمشاعره ممتعة.

جسّد هانكس بمهارة الأبعاد الأربعة للطبيعة البشرية: البدني والروحي والعقلي والاجتماعي العاطفي. هذا السهل الممتنع لا يتقنه إلا الممثّلون الكبار. قدّم هيبة شيخ، في السبعين من عمره، بوجه معبّر ومؤثّر وجذّاب. تعبّر الكاميرا عن مدى إعجاب المخرج بالممثل، الذي عمل معه في «الكابتن فيليب» (2013).

يقدّم هانكس (65 عاماً) سيرة بطل، يحمل تاريخه على جلد ظهره. في تفسيره سلوك الشخصية، يكشف غرينغراس سبباً ظلّ مجهولاً لسلوك الضابط العجوز: الذين لا يملكون وجهة محدّدة، ويتوفّرون على وقت فراغ كبير، يعبّرون عن جهوزية أكبر للتضحية من أجل الآخرين. التفسير منح المتفرّج مفاتيح فهم ما وقع.

البطل قارئ أخبار جوّال، ينشر الأخبار ويناقشها لتشكيل الرأي العام. يحضر جرائده بخشوع، كأنّها سجادة صلاة. أحياناً، يتحوّل ناقل الأخبار إلى طرفٍ في النقاش. في المجادلات، يكتشف نظرية جديدة في التلقّي. يجب سرد ما يريده الجمهور لإحداث الأثر. يتّضح أنّ تقديم الخبر الصحفي شفهياً يتطلّب مهارة حكائية في صوغ المحتوى، وفي نبرة الإلقاء. حين تثير الأخبار صراعاً، يتحوّل قارئ الأخبار من إعلامي إلى سياسي، يوجّه النقاش لتشكيل رأي عام ضروري في دولة ديمقراطية. مع الزمن، يتعلّم الأخباريّ تجنّب قراءة الأخبار المحلية، التي تخصّ المدينة التي يعْبرها، لأنّها مملّة للسكّان، وتثير حفيظتهم. الجمهور يستمتع بالاستماع إلى أخبار المدن البعيدة.

أول خبر: وباء الـ«مينانجيت (التهاب السحايا)» يجتاح أميركا، بينما النزاع بين الولايات على أشدّه. يذكّر جدل 1870 بوباء أميركا وجدالاتها في 2020. جدل يساهم فيه ضابط وطني متعاطف مع الهنود الحمر. فيلمٌ تاريخي يفيد في قراءة الحاضر. لا معنى لأيّ فيلم تاريخي من دون قراءة الحاضر، لأنّ الزمن الحيّ بالنسبة إلى المُشاهد هو الآن.

الفيلم، بحسب الجينريك، استلهامٌ لا اقتباس لرواية «أخبار العالم»، لبوليت جيل. ما الذي يجعل رواية تستحقّ أن تُصوَّر فيلماً؟ هذا موضوع آخر.

في الرحلة الشخصية للبطل، يتشكّل مشهد عام. في الطريق، يكتشف الضابط أنّ نتيجة الحرب ليست مرضية للجميع. حَلّ السلام، لكنّ الكاميرا لا تحبّ الهدوء. الحركة في المكان تخلق الدراما. لرفع الإيقاع في الطريق، تمّ إقحام مُطاردة جبلية صعبة، سمحت للكاميرا بالتموقع فوق الشخصيات وتحتها. يتّضح أثناء الرحلة أنّ الدم لا يزال طازجاً على الجدران، ويُحتمل أنْ يسيل مجدّداً. هناك دولة تتشكّل.

بمحاولة تصنيف الفيلم، يظهر أنّ بول غرينغراس يتحرّك ضمن نوع فيلمي مشهور (وسترن)، مع انزياحات صغيرة عن سنن النوع، كي لا يتيه المتفرّج المعتاد على خصائص النوع الفيلمي.

في تلك الرحلة، يكتشف المتفرّج الفضاء والزمن وصورة الإنسان. بينما تجتاز الكاميرا البراري، تسترجع حكايات أو توحي بها، لتُنشّط خيال المتفرّج ووجدانه. تشبه رحلة اكتشاف الجنوب عام 1870، التي قام بها عازف بيانو أسود في جنوب أميركا عام 1970، في «كتاب أخضر (Green Book)» لبيتر فارلي (2018). لتقديم هذا الماضي بدقّة، يصوّر غرينغراس مهنة ضابط يتجوّل في قرى الجنوب. المهنة وسيلة المخرج لتقديم معلومات عن المرحلة. هكذا حرّر المخرج نفسه من عبء تصوير المعلومات التي تتلى. جعلت قراءة الأخبار السياق مسموعاً. النتيجة؟ تقليل كلفة التصوير، إضافة إلى إتاحة الفرصة للكاميرا لتركّز على البطل والطفلة. هكذا لا يتشتّت موضوع اللقطات.

للفيلم خطّان: خطّ الطفلة المفقودة، وخطّ قارئ الأخبار الجوّال. طفلة بهوية هجينة، أوروبية وهندية حمراء. تصالح الهنديّ مع الأوروبيّ الوافد. لا تفهم الطفلة لغة الضابط، لكنّ لغة الجسد وملامح الوجه تطمئنها بأنّها لا تواجه خطراً. انتهت حرب الانفصال، التي ألغت العبودية. لكنّ صراع الولايات لم يتوقّف. في «كتاب أخضر»، أُلغيت العبودية منذ قرن، لكنّ العنصرية كانت لا تزال تسري في الجنوب الأميركي. هكذا يساعد فهم الماضي على فهم الحاضر. هذا أفقٌ جيّد للأفلام التاريخية.

> من لا يملك وجهة محدّدة يعبّر عن جهوزية أكبر للتضحية

توم هانكس وبول غرينغراس: فهم الماضي لفهم الحاضر (كريغ بارّيت/ Getty)

أفلام جديدة

■ Doctor Strange In The Multiverse Of Madness لسام ريمي، تمثيل إليزابيث أولسون (الصورة) وبينيديكت كامبرباتش: بعد المواجهة مع ثانسون 1، يتابع الدكتور سترانج أبحاثه حول «حجر الزمن». لكن صديقه القديم، كارل مودرو، يُصبح عدواً له، بعد تعرّضه لهجوم من دورمامون 2، الساعي إلى تدمير كلّ العلاجات الموجودة على الأرض، ما يُعيق تحقيق هدفه. والدة ماكسيموف تُصبح ساحرة، تمتلك قوة هائلة، تجهد في فهمها وإتقانها.

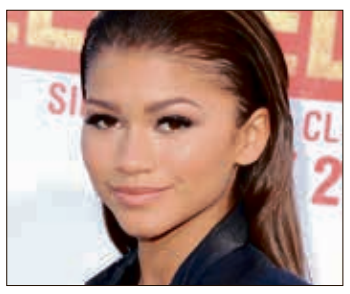

■ Spider-Man: No Way Home لجون واتس، تمثيل زندايا (الصورة): بعد أحداث عدّة يتعرّض لها في أوقات مختلفة، تنكشف الهوية الحقيقية لـ«سبايدرمان». لكنّه منذور لإنقاذ العالم، وهذه المرة عليه أنْ يعمل بشكلٍ سرّي للغاية، برفقة صديقه الحميم نَدْ ليدز وحبيبته أم. جاي.، لمواجهة أكثر الأشرار عنفاً: إلكترو والدكتور أوكتوبوس (الفيلم الـ27 من أفلام «العالم السينمائي لمارفل»).

■ House Of Gucci لريدلي سكوت، تمثيل لايدي غاغا (الصورة) وآل باتشينو وآدم دريفر وجيريمي أيرونز: العودة إلى لحظة اغتيال موريتسيو غوتشي، في 27 مارس/ آذار 1995، الحفيد الوارث الوحيد لجدّه غوتشيو غوتشي، مؤسّس إحدى أشهر علامات الموضة الإيطالية (غوتشي). زوجته السابقة، باتريسيا ريجياني، أمرت بقتله للحصول على نصيبه من الميراث المستحق له قبل أنْ يتزوّج موريتسيو مجدّداً، باولا فرانتشي.

■ Envol لفريديريك سيرولّي، تمثيل إيمّا كولبيرتي (الصورة): منذ 3 أجيال، يعمل أبناء عائلة كاستيلّي وبناتها معاً. اليوم، تشهد الرابطة القوية التي تجمعهم انحلالاً وضعفاً. الابنة الصغرى لا تُخبر أحداً عنها، والأعمال تزداد سوءاً، ولا يبقى لدييغو وفيليبّو إلا الحنين للأيام السعيدة الماضية. ذات لحظة، يقع حادثٌ مأساوي وغير متوقّع، لكنّه سيكون فرصة ثانية للجميع يصعب على الحياة أنْ تمنحها لهم مجدّداً.

■ Down In Paris لأنتوني هيكلينغ (الصورة) إخراجاً وتمثيلاً، مع جان . كريستوف بوفي: فجأة، يُصاب المخرج السينمائيّ ريتشارد (40 عاماً) بقلق غير مبرّر، فيتخلّى عن التصوير ويغادر البلاتوه، ويبدأ جولة ليلية في باريس على قدميه، بحثاً عن إجابات وعزاء وإلهام. فيها، يلتقي أناساً متناقضين، ويُشاهد أحداثاً مختلفة، ويختبر عيشاً لا يعرفه.

«أفلامهنّ» عن نساء معنّفات

السينما عادية لكنّ الخراب كثيرٌ

نديم جرجوره

تعاين 5 مخرجات عربيّات أحوال المرأة في بلدانهنّ، إنْ تكن المرأة شابّة أو طفلة. أحوال غير سارّة. عنف وقتل وعمالة. تعذيبٌ نفسيّ وروحيّ، يرافق المرأة في يومياتها. ممنوعات تُفرض عليها. واجبات تُلزَم بها، وعليها تنفيذها من دون تردّد أو نقاش. غياب مطلق لعيشٍ طبيعي لمرحلتي الطفولة والمراهقة، بسبب فقر وقهر وحاجة إلى مال.

هذه عناوين مُتداولة منذ سنين. اشتغالات جمّة تعرفها دول عربيّة في هذا المجال، دراساتٍ وأبحاثاً وندواتٍ وأعمالاً ميدانية وأفلاماً. أفرادٌ يعملون، وجماعات أيضاً. منظّمات غير حكومية، وأخرى تابعة لمؤسّسات دولية. لكنْ، لا شيء يتغيّر.

مشروع لـ«اليونسكو» يتمثّل بإنتاج 5 أفلام قصيرة، تُدمج في واحدٍ بعنوان «أفلامهنّ» (2020، 100 دقيقة)، المعروض في برنامج «ليالي عربية»، في الدورة الـ11 (6 . 11 إبريل/ نيسان 2021) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)». 5 أفلام تعكس شيئاً من أحوال المرأة في الأردن («ديانا» لميسون خالد) وتونس («كارفور السعادة» لآمنة نجار)، ولبنان («شكوى» لفرح شاعر، «العربي الجديد»، 26 أكتوبر/ تشرين الأول 2020)، ومصر («مائدة الرحمن» لتغريد أبوالحسن)، والمغرب («لعبة» لريم مجدي). يقول التعريف إنّ البرنامج الإقليمي لـ«منظّمة اليونسكو»، الممولّ بالشراكة مع «الاتحاد الأوروبي»، يسعى إلى «تنمية قطاع أفلام يستجيب لقضايا النوع الاجتماعي في منطقة المغرب والمشرق». تعريفٌ يُحدّد المطلوب اجتماعياً، ويرى في الأفلام وسيلةً لبلوغه.

وفقاً لهذا، تستجيب الأفلام الـ5 للمطلب الاجتماعي. المرأة شخصية أساسية، وللطفلة مكانٌ في فيلم واحد، كما للمراهقة في فيلم آخر. جرائم الشرف معروفة في الأردن. العمالة منتشرة في دول عربية عدّة. العنف الزوجي يزداد بطشاً في لبنان. الاغتصاب فعلٌ ذكوريّ ضد جسد امرأة، يُتعامل معه كأداة متعة، أو لتنفيس غضب. الأفلام الـ5 متمكّنة من إيضاح حالاتٍ مستلّة من وقائع ويوميات. التسلّط الذكوريّ واحدٌ. ترجمة أفعاله تختلف من بيئة إلى أخرى، أحياناً. العنف الزوجي واحدٌ في «كارفور السعادة» و«شكوى»، لكنّ الترجمة البصرية تختلف بينهما. في الأول، يمارس الرجل عنفه ضد امرأته لطيفة (خديجة بكّوش) بشكلٍ واضح أمام الكاميرا، لأنّها بنظره عاقر. في الثاني، تلجأ هدى (فانيسا مغامس) إلى الشرطة لحمايتها من عنف زوجها، الحاضر بصوته عبر الهاتف فقط، فتُصاب بذكورية واستعلاء أسوأ من عنف الزوج. الاستعلاء والذكورية نوعٌ آخر من العنف أيضاً.

الحبّ مرفوض، فالمرأة الأردنية تخضع لنظام ذكوري قاس، وأي اشتباهٍ بخروجها عليه يُعرّضها لعنفٍ يبلغ حدّ القتل. في «ديانا»، تروي ديانا (راكين سعد) حكاياتها، مع بثّ متتاليات بصرية تقول ما ترويه. النساء كثيرات حولها. تعنيف الأمّ أخطر من عنف الرجال. العار دافع، وهذا منبثق من ثقافة استعلائية للرجل، في اجتماع قابل لثقافة كهذه، رغم تبدّلاتٍ حاصلة للمرأة في وعيها ومعرفتها وسلوكها، في الأردن وتونس مثلاً. في المغرب، كما في مصر، للأطفال حضورٌ. أميرة (فريدة هاني) تبلغ 8 أعوام، وتعمل سائقة «توك توك» في شوارع محدّدة في القاهرة (مائدة الرحمن). كاميليا (آية كوبيس) مراهقة، تتعرّض لاعتداء جنسيّ ولنظرة مراهقين حادّة وقاسية (لعبة).

ترتكز الأفلام على المرأة الناضجة، باستثناء «مائدة الرحمن» و«لعبة». الفيلم المصري معنيّ بالطفولة. عنوانه مريح (مائدة الرحمن)، فالوقت شهر صيام في رمضان، والنساء يعملن من أجل الحاج (غير الظاهر بتاتاً)، الراغب في إفطار فقراء. تُدرك أميرة أنّ حدود تحرّكها قليلة، لكنّ التضحية واجبٌ، وفعل الخير أيضاً.

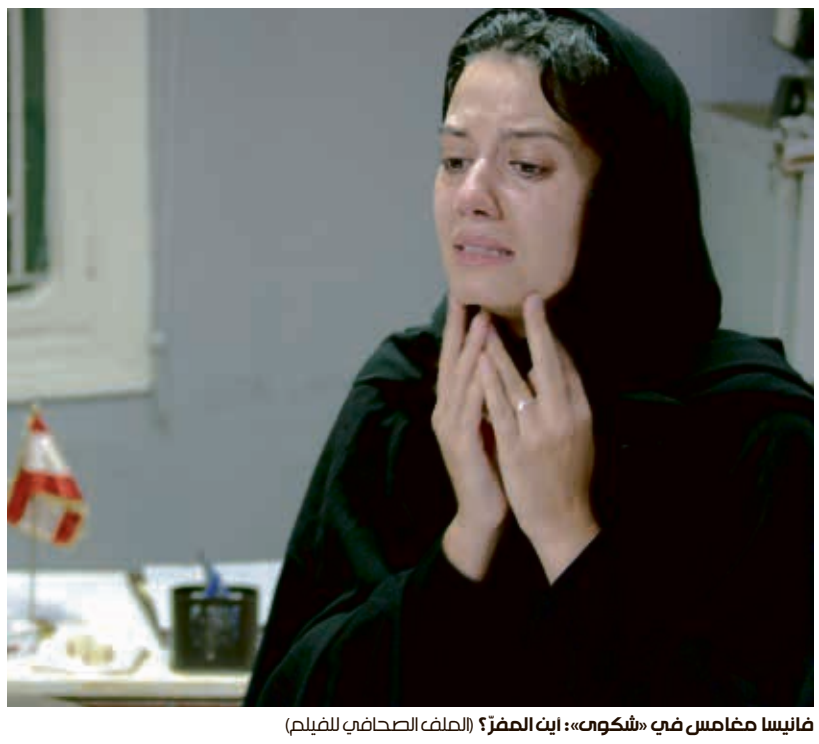

فانيسا مغامس في «شكوى»: اين المفرّ؟ (الملف الصحافي للفيلم)

> كشف راهن معطوب ومساحة حرّة لقول نسائي وتعبير طفولي

النص الكامل
على الموقع الالكتروني